الرمزية في المجتمع القروي، روايات مولود معمري أنموذجاً

Symbolism in the rural community, the novels of Mouloud Maamari as a model

فاطمة الزهراء عقال[1]

تاريخ الإرسال: 2021/12/22	تاريخ القبول: 2022/06/29	تاريخ النشر: 2022/11/10

الملخص:

من أبرز أبناء الجيل الأول للحركة الأدبية الجزائرية مولود معمري، من الذين كتبوا باللغة الفرنسية، اهتم بمشاكل المجتمع الحقيقية التي عانى منها البسطاء، تدور أغلب أحداث رواياته في القرى والأرياف بالجزائر، مثل روايته الأولى **"الهضبة المنسية"** التي ترتكز أحداثها في إحدى قرى منطقة القبائل، وأهمية رواياته تتمثل في كونها رواياتا سياسية في المقام الأول، لا لأنها تقف ضد الاستعمار، بل لأننا نجدها تتصدىللأفكار الغريبة التي يعتقدها أبناء القرية. وفي **"رواية الأفيون والعصا"** تجريالأحداث أثناء حرب الاستقلال من خلال إحدى القرى القبائلية التي شهدت بعض وقائع هذه الحرب "تالة" هي القرية التي تحاصرها الجبال ولكن هذه القرية ليست سلبية، فهي تشترك في حرب التحرير لدرجة أنها تُباد تماما.أما رواية **"سبات العادل"** فيعالج فيها الكاتب حالتا الفقر واليأس اللذين عاشها الفرد الجزائري في قرية نائية تكابد الظلم، رواياته تتناول فضاء القرية وتعالج ذاك المسكوت عنه، وتعالج مشاكل سكان تلك القرى النائية الذين عاشوا في

المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء عقال afatioumhalla732@gmail.com

1جامعة المديةafatioumhalla732@gmail.com

الفقر والظلم والجهل.

الكلمات المفتاحية: الأرياف، القرى، الفقر، الظلم، الجهل، المسكوت عنه، اليأس.

Abstract:

One of the most prominent sons of the first generation of Algerian literary movement, Mouloud Maameri, who wrote in the french language ; He cared about the real problems of society suffered by the poor, most of the events of his novels take place in the villages and country side in Algeria, like his first novel **« The forgotten hill »**who's events are bases in one of the kabylie region, villages and the importance of his novel is that it is a political novel in the first place not because it stands against the colonialism.Rather we find it attacking the western ideas believed by the villagers; and in the novel **« Opium and the stick »**, the events take place during the war of independence through one of the kabyl villages that witnessed some of the facts of this war, Tala is the village surrounded by mountains, but this village is not passive as it participates in the war of liberation to the point that it is completely exterminated.As for the novel **« The sleep of the just »** when the writer discusses the state of poverty and despair experienced by the Algerian individual in a remote village suffering injustice ; His novels deals with the village space and treats that whichis unspoken. It addresses the problems of the residents of those remote villages who lived in poverty, injustice and ignorance.

Key words: County side, villages, poverty, injustice, ignorance, the unspoken, despair

*** *** ***

1.مقدمة:

شغل فضاء الريف والقرية مكانة مهمة في المنجز الروائي الجزائري باللسان العربي والفرنسي، فالحديث عن المجتمع القروي هو الحديث عن معاناة الفلاح وساكني تلك الأرض الطيبة الخصبة التي أنجبت أبطالا، سعى الأدباء إلى تصويرها بكل أبعادها

الاجتماعية والسياسية والإنسانية، فعالم القرية هو عالم منسي ومهمش وخارج عن دائرة الاهتمام، لذلك وجب تقديمه للقارئ بشكل لائق ومرضي، وهذا ما لاحظناه في الروايات المختارة للدراسة للكاتب مولود معمري الذي قدم لنا المجتمع القروي بكل ما يحمله من معاناة وبؤس في فترة صعبة عاشها الشعب الجزائري.

2.الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

" لقد تحول الجزائري إلى اللاشيء بوجود الاستعمار فالضرر الذي لحق الدول المغاربية ككل لم تفلت منه الجزائر إذ انتهجت فرنسا سياسة متطابقة في كل أقطار المغرب العربي وهي سياسة استندت إلى دعامتين أو عمودين أساسيين: التفقير والتجويع وسلب الأراضي من جهة ثم محاربة الثقافة العربية الإسلامية وثانياً سن قوانين تكبل عقول وأيدي هذا الشعب، فالهيئة الاستعمارية والاستيطانية تتزاوج فيها الأسلحة الحربية والأسلحة الثقافية الفكرية "[2].

في هذا الجو المليء بالصراعات وبالنزاعات القتالية حيناً أو بالاستقرار والخمول أحياناً أخرى، وُلد الأدب الجزائري بعيداً عن المصادفة أو التلقائية، بل كان هذا الميلاد نتيجة عوامل كثيرة تجمعت بحكم الصراع الداخلي والخارجي، هذا الصراع الذي أفضى في النهاية على المستوى السياسي إلى مظاهرات 8 ماي 1945م، لقد أرّخ هذا اليوم لمرحلة جديدة استأنفت فيها الصدام بين الجزائريين والفرنسيين." ولدت الرواية في المغرب العربي نتيجة حالة خصوصية من الانفجار والاحتجاج، فالجدلية قائمة بين التاريخ السياسي للبلاد والأعمال الروائية، وصورة الجزائر حاضرة كمرآة في الأدب المكتوب، ويبقى جلياً أن كل كاتب نقل اللوحة من جانب محدد وكان يكفي أن تُجمع كل اللوحات لتشكل الشكل الأخير من مأساة الجزائر."[3] ومن هنا تأسس أدب جزائري وظهرت عدة مؤلفات وروايات وقد أبدع أغلب الأدباء الجزائريون في الشعر وبدأت محاولاتهم في الرواية تظهر شيئاً فشيئاً." الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية من قبل أي من سكان الجزائر الأصليين "[4]، حينما يُؤرخ لأول قصة كتبها جزائري

يحدد ذلك بسنة 1891م والقاص هو محمد بن رحال (1856-1928) تحت عنوان " انتقام الشيخ " (La vengeance du cheikh) وقد نشرت هذه القصة في المجلة الجزائرية التونسية، الأدبية والفنية في العدد الثالث يوم (26 سبتمبر- 3 أكتوبر 1891م)[5]، أما أول سلسلة من القصص والتي يمكن أن تشكل رواية قصيرة ولكنها لم تجمع في كتاب، فكانت سنة 1912م في صحيفة الحق من توقيع أحمد بوري[6]تحت عنوان "مسلمون ومسيحيون"[7]، أما أول رواية كتبت باللغة الفرنسية فكانت سنة 1920م للقايد بن شريف[8] (1879-1921) تحت عنوان " أحمد بن مصطفى قومي"[9]، ثم تبعت بروايات أخرى ففي سنة 1925م أصدر "عبد القادر حاج حمو"[10] (1891-1955) رواية تحت عنوان " زهرة زوجة المنجمي "[11]وقد عدت هذه الرواية لفترة طويلة هي الأولى في تاريخ الأدب الجزائري. كما نجد محمد ولد الشيخ [12] الذي يعتبر من أوائل الروائيين الذين كتبوا بالفرنسية ونادى بإدماج الجزائري في الفرنسي. بين سنة 1952 و1956م عرفت الرواية المكتوبة بالفرنسية قفزة نوعية على المستوى الفني والكتابي أي على مستوى الكيف، فهذه المرحلة كانت لمساءلة الذات بعد الحرب العالمية الثانية، مرحلة كشف وفضح للواقع المقلق.[13] بعد ظهور بعض المقالات والقصائد أو القصص بأقلام جزائرية، سارعت بعض الصحف اليسارية وبعض دور النشر إلى الالتفات إليها والإشادة بها، فكل صحيفة بادرت إلى ضم كتاب من المغرب العربي إلى أسرة التحرير فكانت تشجعهم على الكتابة وتقيم لهم ندوات ولقاءات للترويج لأفكارهم وتمنح لهم بعض التسهيلات لنشر أعمالهم. كما أنّ الأعمال الأدبية المهمة تأخرت إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، فالطبقة المثقفة تمتعت بموهبة الكتابة وعبرت عن ردود أفعالها تجاه الأوضاع الاستعمارية إذ نجد مثلاً الروائي " مولود معمري " يقول رداً على السؤال لماذا لم يقدم الجزائريون أعمالاً مهمة قبل الحرب

العالمية الثانية: " خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريون، فشعرنا على إثرها بتهيب وابتهاج أنّ خروجنا من المأزق ممكن فخرجنا من ذلك بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع "[14]. لم يكن في يد أدباء الفترة الكولونياليةمن خيار سوى الفرنسية، التي اتخذوها لغة إبداعاتهم الأدبية ومقارباتهم الموضوعية والميدانية، ومصدر رزقهم الآمن، " وتمكنت اللغة الفرنسية من الجمع بين كبار كتاب فرنسا العالميين والكتاب العالمية "[15]، لأنّ الاستعمار الفرنسي لم يكتف بدمج الشعب الجزائري، بل ربطه بالوعي الغربي، وبأدوات الفرنسية الثقافية التحررية، " إنّها لغة كتابة كبار الكتاب المغاربة، والتي استخدموها كوسيلة اتصال "[16].شكل صدور رواية ابن الفقير Le fils du pauvre لمولود فرعون توجها جديداً في المسار الروائي، ومن ثم واصل المنتوج الروائي نموه رويداً رويداً بصدور رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب عام 1952م، والتي شكلت منعطفاً حاسماً في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون، وهكذا تمكن هذا الأدب إلى عرض قضية الجزائر على الرأي العالمي لأنه مكتوب بلغة غير لغته فكان وصوله للقارئ الأجنبي بصورة أسرع، "والمكان الذي يحدثنا عنه هذا الأدب، هو مغرب آخر، مغرب الآخر ومغرب للآخر:إنه أشبه بالأسطورة، لأنه كتب من أجل قارئ فرنسي"[17]. ومنذ أحداث الثامن ماي 1945م، اتسع نطاق مفهوم الثورة وتنوعت مسالكها، فلم تعد شعاراتها مجرد حبر على ورق، وهذا ما دفع الكتاب إلى محاولة بذل مجهودات عظيمة في سبيل مساندتها، وكلما كان الروائي متمكناً من التعبير عن الواقع كلما كانت تآليفه مستودعات للشعوب، أفكارها، ثقافاتها، وذخائرها الحربية ضد الاستعمار الكولونيالي بلغته المفروضة عليهم، التيجعلوها ملكهم بما جسدوه فيها من مشاعر معادية للاستعمار ومناهضة له، مشاعر أدت إلى طرد الاستعمار الاستيطاني من بلادهم كما فعل أقرانهم على امتداد القارات التي احتلتها الكولونيالية القديمة[18]. فبفضل بعد الكلمات وقوتها تنتشر الأفكاربين الناس، وبهذا يسهم الكاتب في

نقل الأفكار ويختزن خبرة جيله،موظفاً اللغة بالذات – الفرنسية – كسلاح من أسلحة المعركة ضد الثقافة الدخيلة، مما جعل بعض الكتاب الفرنسيين يغتاظون من لغتهم التي أصبحت تستعمل ضدهم، وبخاصة عند كاتب ياسين ومحمد ديب[19].وطرح هذا الجيل قضايا لم يسبق لها مثيل لأنه استمد مرجعيته من متن الانتفاضة الوطنية، وما الأدب المغاربي إلا وليد سنوات الخمسينات، حينما نشط التيار المعارض للاستعمار ديناميكياً[20]، وتحول منطلقه من مجرد تقاليد إلى اهتمامات قومية، تتلخص في نضال النفس والنفيس، وحمل خطابه بين طياته آهات شعب أبي ودماء شهداء أبرياء، " ترى سعاد محمد خضر أنّ ظهور الأدب الجزائري الديمقراطي المكتوب باللغة الفرنسية، قد بدا منذ عام 1945م، وتقدم قائمة بهؤلاء الكتاب الوطنيين الديمقراطيين ومنهم: محمد ديب، كاتب ياسين، مولود فرعون، مولود معمري، مالك حداد[21]. والخطاب الأدبي كان يشمل بالدرجة الأولى المقاومة، وتعريف بقية الشعوب على محنة الشعب الجزائري من خلال الآثار الأدبية " التي كانت بحق الوجه الآخر للثقافة الجزائرية التقدمية المقموعة استعمارياً، استطاعت من خلال كتابها القديرين كتابة نشيد جديد يقيم حياة جديدة... ستجلب الفرح للجماهير، مثل شمس صباحية تشرق على الجزائر."[22] لم تتغير التجليات المضمونية للرواية الجزائرية بعد سنة 1962، ولا وظيفة الأدب بل تكرر الخطاب الثوري عبر كم كتابي هائل، وأشهرت الأقلام ذات البعد النضالي والمواقف الملتزمة لأن الأرض المغربية ضحية لغزوات عديدة منذ قرون طويلة. والغزو الذي غالباً ما يتكرر في الرواية المكتوبة هو المتأخر زمنياً، أي الغزو الفرنسي[23].

وما لبثت أن أصبحت هذه اللغة الأجنبية مشكلة ثقافية، " فبعد سيادة اللغة التركية، ثم الفرنسية في المعاملات الرسمية وفي الحياة الثقافية والمجتمعية انتهى استعمال العربية لدى الجزائريين إلى معنى الاستلاب الذي تجسد في انعدام الإحساس بالانتماء إلى اللغة، الثقافة العربية، وتبني الفرنسية وآدابها أنموذجاً يحتفى به ويشهر

كعلامة تمدن"[24]، وبناءاً على هذا تولد حاجز لغوي بين جيل تكوّن في المدارس الفرنسية وجيل فضل تمدرس اللغة الأصلية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية. لم يكن من السهل على هؤلاء الكتاب الجزائريين التخلي عن لغتهم واللجوء إلى لغة المستعمر، ولكن هل من المناسب أن نقول إنهم تخلوا عن لغتهم أم أنهم جمعوا بين لغتين واستفادوا من الثقافتين الفرنسية والشرقية، وصاغوا الكل في قالب مميز نتج عنه أدب أصيل.[25]

3.سيرة ذاتية:

يعتبر مولود معمري أبرز أبناء الجيل الأول للحركة الأدبية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية، ومن أبناء هذه المرحلة كما سبق الإشارة هناك محمد ديب ومولود فرعون ويتسمون بأنهم قد انتموا إلى المدرسة التي تهتم بإلقاء الأضواء على مشاكل المجتمع الحقيقية التي يعاني منها البسطاء كالتعليم والفقر والطموح والتطلع إلى الأثرياء وكيف يعيشون.[26]مولود معمري ولد في قرية "توريرت ميمون" التي تنتمي إلى ما يسمى بالقبائل الكبرى في الثامن والعشرين من ديسمبر 1918 وذلك في أسرة غنية. فتلقى تعليمه في مدرسة القرية، عندما بلغ الحادية عشرة، سافر إلى مدينة الرباط عند عمه، ودخل مدرسة (الليسي) (هوجو)، ثم عاد إلى الجزائر بعد أربع سنوات واستكمل دراسته ثم سافر إلى باريس كي يكمل دراسته من جديد في مدرسة لوي لوجران، وفي عام 1940 التحق بكلية الآداب بالجزائر، ثم شارك في الفرقة الأجنبية التي كانت تضم إيطاليين وفرنسيين وألمانا ووجد نفسه مساقا على الجبهة في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب عمل مدرسا للأدب في الجزائر وفي بعض المدن القريبة من العاصمة، ثم سافر للإقامة في المغرب حتى عام 1957، وعاد إليها مرة أخرى ليعمل مدرسا في جامعة الجرائر، ثم مديرا لمركز الأبحاث الأنثروبولوجيا حتى عام 1980.[27]نشر مولود روايته الأولى «**الهضبة المنسية**» أو التل المنسي la colline oubliée عام 1952م، ثم جاءت روايته الثانية «**نوم الرجل العادل**» le sommeil du juste عام 1955م، وبعد عشر سنوات جاءت روايته الثالثة «**الأفيون**

والعصا» L'opium et le bâton وفي عام 1973م نشر كتابا تحت عنوان «**موظف البنك**» Le banquier يتضمن مجموعة من المسرحيات والمقالات. كما نشر كتابا عن قواعد اللغة البربرية عام 1976م وفي السبعينات شهد نشاط متعلقا بالثقافة الأمازيغية –كما يسميها-مثل كتاب «**ماشاهو**» Machaho الذي يتضمن مجموعة من القصص الأمازيغية، كما نشر ديوان شعر يحمل اسم «**أشعار قبيلة**» عام 1980م، ولم يعد مولود معمري إلى الرواية سوى في عام 1982م من خلال «**العبور**».[28] وجميع كتابات مولود معمري منشورة باللغة الفرنسية، ومطبوعة في فرنسا، وتدور أغلب حوادث روايات في القرى والريف بالجزائر، مثل روايته الأولى «**الهضبة المنسية**» التي تدور أحداثها في إحدى قرى بلادالقبائل، وفي هذه القرية عاش قبل سنوات الحرب العالمية الثانية مجموعة من الجزائريين الأمازيغ في عزله عن العالم من حولهم لا يكادون يعرفون شيئا عما يحدث في العالم وهذا النوع من الحياة يجعل أبناءه يمشون على وتيرة واحدة وإيقاعهم غالبا ما يكون ساكنا ولا جديد فيه لذا، فإن البطالة تنتشر والناس يتسمون بخمول ملحوظ وتجيء أهمية روايات مولود معمري من أنها روايات سياسية في المقام الأول، وليس فقط لأنها تقف ضد الاستعمار، بل لأنها تهاجم الأفكار الغربية التي يعتقدها أبناء القرية في روايته «**الهضبة المنسية**» إزاء الكارثة التي أصابتهم فهم يتصورون أن هذا البلاء ما هو إلا غضب من أولياء الله، و بدلا من الخروج من المأساة زادت نسبة التقاليد البالية، ولم يعد أحد يسير على هدى الله الحقيقي، فزاد ضلا لهم وفي رواية «**الأفيون والعصا**» تدور الأحداث أثناء حرب الاستقلال من خلال إحدى القرى القبائلية التي شهدت بعض وقائع هذه الحرب ونمو الوعي لدى طبيب كان من المصابين باللامبالاة، فالدكتور بشير الأزرق يترك حياة الترف في الجزائر العاصمة متوجها نحو الجبل حيث توجد قرية «**تالة**» مسقط رأسه التي تعيش في حالة حرب، إنها دائما نفس القرية التي يحاصرها الجبال ولكن هذه القرية غير سلبية. فهي تشترك في حرب التحرير لدرجة أنها تباد تماما في هذه الحرب.[29]كان معمري مهتما كثيرا، كباحث بدراسة ظاهرة الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، وهو يرى أن هذا الأدب قد أسهم إسهاما عظيما في قضية التحرر الأفريقي، وقد تعامل مولود معمري

مع الأدب على أنه موجه أساسا إلى جمهور مختلف عن الجمهور الذي يعبر عنه وموجه إليه، وكان الأدب بمثابة سلاح دعائي لمناهضة الاستعمار، أو منشور كي يعرض على أبناء الوطن الاستعماري ما يرتكبه الأبناء من بشائع في المستعمرات ويرى مولود معمري في مقاله عن الأدب الإفريقي باللغة الفرنسية أنّ أعمال المبدعين من الجيل الأول في الجزائر قد تركزت أساسا حول حركات التحرر.[30]

4.الرمزية في المجتمع القروي كما صوره مولود معمري:

يعتبر الرمز أداة فنية يقدم بها الكاتب ما يريد من أفكارمتكئا على البعد الإشاري للإحالات الرمزية. وإذا كانت الحركات الرمزية جميعها تهدف إلى تحرير الأدب من وظيفته التفسيرية وجعله وسيلة للتعبير عن الرؤية الذاتية للعالم، فقد هدفت إلى تعويم الدلالات المحددة للألفاظ عبر الاستخدام الخاص للاستعارات والأبنية التخييلية، وهذا يعني جعل النص قابلاً للتأويل المفتوح بإكسابه القوة التي يتحدث عنها بارت حين يصف المعنى بأنه القوة التي تحاول إخضاع قوة أخرى، ومعان أخرى ولغات أخرى[31].

-**<u>الربوة المنسية</u>:** كانت رواية الربوة المنسية La colline oubliée أول رواية أصدرها مولود معمري سنة 1952م، يقول أحمد منور حولها: "شكّلت رواية الرّبوة المنسية لمولود معمري التي صدرت بسنة 1952 معرواية الدّار الكبيرة لمحمد ديب التي ظهرت بأيام قليلة حدثا أدبياً متميّزا في أوساط المثقفين الجزائريين باللغة الفرنسية، بما حملتا من مضمون جديد، وبجرأتهما في طرح مسائل سياسية واجتماعية لم يتعوّد الروائيون على طرحها"[32]، في رواية الربوة المنسية انطلق مولود معمري من الواقع الاجتماعي الذّي يعيشه الفرد الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، "يعبّر الكاتب في الرواية عن مآسي الشعب وأحزانه وبُؤسه، إنّها فترة اليأس والقنوط"[33].القنوط الذي ذكرته عايدة أديب بامية جاء من الجهل واليأس فاتحاً بذلك الباب أمام الخرافات والمعتقدات الخاطئة للهروب من الواقع، مثل شخصي " مقران وعزّي" الزوجان اللذان جربا كل الوسائل من أجل الإنجاب فطرقا كلّ

الأبواب مجربين كل الوسائل التقليدية المعروفة ضدّ العقم، وتأتي رواية الهضبة المنسية لتحارب الأفكار الخاطئة في المقام الأول التي يعتقدها أبناء القرية "ففي رواية التل المنسي، إزاء الكارثة التي أصابتهم فهم يتصورون أنّ هذا البلاء ما هو إلاّ غضب من أولياء الله" [34]، وقد عدّ "جون ديجو" هذه الرواية من أفضل أعمال مولود معمري، فهي تنقل حالة القنوط التي يشعر بها الشباب المحروم من العمل، وضغط التقاليد عليهم، فكل واحد حاول البحث عن سبيل الخلاص. وفي النهاية يغادر البطل الربوة إلى مكان آخر،[35] فـــ مناش الشخصية التي لازمت القارئ من بداية الرواية إلى نهايتها ينهي النص الروائي بمقولة تحيل إلى العنوان وتعكس حالة اليأس – فحين مروره على قبر صديقه مقران ولحظة مغادرته – يردد: " لن أعود إلى هذه الهضبة المنسية."[36] هذه القرية الواقعة في فضاء تتوسطه الأنهار، على سفوح هضبة منسية، تفتقد لجسور خشبية أو حديدية لأن السلطة الدينية – ممثلة في شيخ القرية – ترفض ذلك من خلفية الخطاب الديني السَّلبي، يقول هذا الأخير: " إذا كتب الله على جبينك أنك ستلقى حتفك في النهر، فسوف تموت كذلك ولا يمكن لأحد أن ينجدك..."[37] وهناك انحرافات أخرى للخطاب الديني الشعبي نعثر عليها حينما يتم الربط بين تأخر الإنجاب وشيطان النهر، بحيث يقترح الخطاب اللجوء إلى الولي الصالح " سيدي عبد الرحمان " تخلصاً من تلك اللعنة.[38]فهذه القرية تعيش حالة من الجمود، فلا أحد يسعى أو يحاول لتغيير الموجود إلى الأفضل.تجسدت حالة البؤس في كل من إبراهيم وسكورة، فهذه العائلة المحرومة تلجأ – كلما ضاق بها الحال – إلى الرّبوي المستغل لفقر الفقير. فهي قصة مجموعة من الأصدقاء تجسدت من خلالهم الاختلافات الفكرية والثقافية مع الفروقات الطبقية، فمنهم المثقف كالسارد البطل " مقران " ومنهم الفقيرالأجير"موح" الراعي والغني "إدير " الذي كان يجمع بين القوة وإتقان العزف على الآلات الموسيقية. إنّ هؤلاء الأصدقاء عايشوا أحداث الحرب العالمية الثانية مجبرين ومكرهين جسداً وروحاً. حرب يقول عنها السارد أنها أطفأت شموع الفرح في نفوس الكبار والصغار، والمفارقة الغريبة أنّ الاستدعاءات للتجنيد في هذه الحرب كانت تصل الأحياء

والأموات على السواء، فقد أرسلت السلطات العسكرية استدعاء لموح الراعي بعد موته.[39]هي حرب فتَّحت عقول الجزائريين وحركت وتيرة الوعي لديهم. فتنوعت الأفكار والآراء، فكل مجموعة اقترحت حلولاً للوضع العام والخاص من وجهة نظرها ومن منطق تموقعها، فئة أولى فكرت في إرجاع عظمة الإسلام بأسلوب حديث. وفئة ثانية، فكرت في إتحاد القوى العاملة أو البروليتاريا لأنها عملت بمصانع فرنسية. أما الفئة الثالثة– والأخيرة – التي لم تمتلك مشروعاً محدداً، فانحصر همها في جمع المال فقط.[40] يستعين السارد (مقران البطل) بتقنية الحوار لشرح نفسية الشخصيات وللتعريف ببعضها، فهم مجموعة من الأصدقاء يعيشون في قرية قبائلية منسية، أبدعوا في السهر والسمر. ولكن الحرب أوقفت تلك الحالة الخاصة بعد أن جُنّدوا. فهذه الحرب كانت تُقحم نفسها في حياة الجزائريين دون رغبتهم. يتموقع النص زمنيا في أثناء الحرب العالمية الثانية، كما أن الكاتب يستخدم تقنية الثغرة أو الانتقالات الزمنية المفاجئة.

لقد ركزت هذه الرواية على عنصر مهم ألا وهو الوعي والتغيير، والتمرّد على الخرافات والشعوذة، وإنارة العقول، وبينت بأنّ هذه الخرافات لن تغير من واقعهم المرير ولن تكفيهم الجوع والهوان. الكاتب مولود معمري أرسل إلى القارئ رسالة توعية من خلال رمزية القرية وسكانها الذين عانوا من الفقر والتجهيل في زمن الاستعمار.

-**<u>سبات العادل</u>**: أما الرواية الثانية لمولود معمري فهي" سبات العادل Le sommeil du juste "[41]، انتهج المؤلف أسلوبا مغايرا لأسلوب الرواية السابقة الربوة المنسية حيث أنّ الكاتب في سبات العادل وسّع مجال رؤيته، وتجاوز حدود القرية القبائلية إلى البعد الوطني، ونقد النظام الاستعماري." ويلاحظ الدّارس لهذه الرواية أنّ التطور الذّي حدث لدى الكاتب على مستوى الرؤية الفكرية قد انعكس أيضا على مستوى البناء الروائي، بحيث قسم الرواية إلى ثلاثة أقسام أعطاها العناوين التالية الأب، الابن، الملاك... ومن ثمة وزّع البطولة على ثلاثة شخصيات...وبهذه الطريقة أتاح لنا فرصة متابعة ثلاثة أنواع

من البطولة وثلاثة أنواع من الوعي لدى الأبطال"[42]، تناول مولود معمري في روايته منطقة القبائل والعداوة القبلية، الظلم والعبثية التي تنكشف من الحرب.[43]تتموقع الأحداث في سنة 1940م مع بداية الحرب العالمية الثانية وتسرد حياة ثلاثة أبناء، " أرزقي " المثقف الناكر لوجود الله، " محمد " الابن الأكبر المريض بداء السل، وسليم الابن الضائع الذي لم يلتحق بالمدرسة وكان يخطط له أن يهاجر إلى فرنسا أو يلتحق بمدرسة البنائين. ثم رحيل سليمان داخلياً ومعايشته للوحدة والفقر والحاجة بحثاً عن لقمة العيش وعن عمل ثابت.والواضح أنّ القصة تعرض خيبات الأمل المتواصلة التي عاشها الشباب الجزائري، فالحياة مليئة بالوحوش وهذا الجزائري أُطلق مُقيد اليدين، كبش فداء. وهذا ما دفع "أرزقي" ذاك الشاب المثقف إلى حرق الكتب التي تعلم منها القيم والفضائل لأنها كُتبت لغير الجزائري. ثم فكّر بالانتحار لكنه انتهى به المطاف إلى السجن ليقضي حُكماً لتهديده الأمن القومي الفرنسي كما ادّعى القضاء الفرنسي. الشيء اللافت للانتباه في هذه الرواية هو ردّود الفعل القوية إزاء ما يحدث لأبطال الرواية مع السلطات الاستعمارية، ويبين الكاتب قوة الاحتكاك مع المستعمر دون خوف، وهذا من مؤشرات الوعي والنضج لدى شخصيات الرواية، فهنا إشارة إلى الوعي الذي وصل إليه الشعب الجزائري.في نهاية الرواية نجد أنّ البطل أرزقي يتنبأ بالمستقبل المشرق بالرغم من القمع والظلم الذي مارسته السلطات الاستعمارية ضدّه، وحاول أن يوصل للقارئ فكرة أنه مهما حدث من قهر واستبداد، فلا بدّ أن يظهر الحق، فلا بدّ من التفاءل بأنّ الغد أجمل وأنّ فجر الحرية قد اقترب. وما عنوان الرواية إلا دليل على ما كان الكاتب يريد إيصاله للقارئ "سبات العادل"، أي أنّ العدالة نائمة وستستيقظ يوما ما، فالظلم لا يدوم مهما طال، وهذه إشارة لزوال الاستعمار.

. **<u>رواية الأفيون والعصا</u>:** L'opuim et le bâton[44] فقد ذكر في شأنها مولود معمري: " لقد رأيت من خلال كتابي، الأفيون والعصا، أن أبين أن أمم العالم الثالث الناشئة، مهددة

تماماً مثل غيرها من الأمم بالبخار والعفن والسموم التي يفرزها التطور الطبيعي للتطور الغربي والتي غلبت، في الفترة الأخيرة نسبة عجيبة من الحدة."[45]

تبدأ الرواية بوصف مكان الأحداث، بوقفة على مدينة الجزائر العاصمة، وما يبدو لرمضان، هذا الجزائري الساخط على الحالة العامة، والمشبع بالأفكار الماركسية بأن جمال الجزائر لم يكن إلا جمالاً مزيفاً وغير حقيقي. فالإنسان الفارغ البطن لا يرى جمالاً أو قبحاً، لأن الصورة تصبح آنذاك منعدمة. فهذه المدينة تمرّ بظرف استثنائي منذ سنوات ثلاث، إشارة إلى الحرب التحريرية. فأحداث الرواية تتموقع زمنياً سنة 1957م والقارئ يتوصل إلى ذلك استنتاجاً.تتم الإشارة إلى العنوان في الصفحة الثالثة عشر، فاستراتيجية الأجهزة الاستعمارية كانت دوماً استراتيجية الأفيون والعصا أي الترغيب والترهيب. يبرز " بشير " كبطل للرواية، منذ الصفحات الأولى، فقد تبين له أنّ أجهزة الإعلام لم تكن إلا أجهزة اغتصاب منظم للحرب التحريرية، وقد دفع هذا السلوك الكثيرين إلى مراجعة حساباتهم وقناعاتهم، محاولين الانفلات من حالة الضياع واللامبالاة. لم يكن بشير لزرق إلا طبيباً في الثلاثين، أتقن إمساك المشرط أثناء العمليات الجراحية كما أتقن الفرنسية لغةً. لقد تخلى هذا الطبيب عن ضفته وقريته النائية وعائلته وشكل عالماً جديداً متحرراً مع صديقته الفرنسية " كلود "، فتعوّد على وجودها دون أن يبادلها مشاعر حقيقية. كان هذا البطل يتدحرج بين عالمين ساهما في تشكيل كينونته. فهو يشعر بضياع يصعب تحديد بدايته أو نهايته، وينتهي بقرار شجاع هو اختيار المشاركة والتفعيل. كان بشير- قبل ذلك – من المشككين في إمكانية نجاح الثورة أمام قوة عسكرية جبارة ممثلة في فرنسا، وحجته أن من يقودها هم الأميين والمغامرين الذين يجهلون حقائق الحروب والاستراتيجيات العسكرية.كانت عودة " بشير " إلى قرية " تالة " عودة الابن الضال. فهو الابن والأخ الذي لم ينس إرسال المال لكنه نسي إرسال المشاعر. هو نسيان مؤقت، عالجته الحرب بكوارثها وفظاعتها. وشيئاً فشيئاً نكتشف كقراء مع البطل البؤس والفقر في القرى الجزائرية- تالة نموذجاً – والسارد يتحدث عنها كجزئية تعكس حالة مجموع القرى الجزائرية، إذ تتوارث الأجيال عن السلف التصرفات نفسها وتعيد الصورة

القديمة، بعيداً عن التجديد أو المغامرة ومتجنبة المخاطرة والمصادفات المؤلمة، ونكتشف قبول جميع الأهالي للمهانة والمذلة في صمت مدهش يستغرب له البطل، لقد ولّى زمن عزة النفس والكرامة وهاهو السارد يردد في أكثر من موقع: " إننا نشم في هذه المدينة عفن الجثث إلى درجة الغثيان."[46] فقبول البشير للذل يحولهم إلى جثث دون حياة، فما السكون والسكوت إلا عفونة.

توقف الساد (خارج النص) عند الجانب النفسي لدى الإنسان، من خلال شخصية الحاكم العسكري في تالة الملازم " دلاكروز"، الذي درس الطبيعة الإنسانية، فكل شخص نتمكن من توجيهه والتحكم فيه انطلاقاً من نقطة ضعفه (حب المال، الطموح، الطمع، أو خطأ مرتكب).أما الزمن الداخلي في الرواية، فيتم إخبارنا أن بشير أمضى ثلاثة أشهر في الجبل مع المجاهدين في تنظيم الجهاز الصحي والطبي لهؤلاء.[47] ثم مع رجوعه إلى العاصمة وبعد إلقاء القبض عليه، كان ينتظر أن يُسأل أين قضى خمسة أشهر بعيداً عن عيادته.[48]أما الاسترجاع فيلجأ إليه السارد، إذ إنّ "علي" يسافر بذكرياته خمسة أشهرإلى الوراء، فيتذكر عمر وزيارات والدته وزوجته التي تحدث في فترات متقاطعة.[49]وما يلاحظ أن السارد ينتقل من مشهد إلى آخر بترك فراغ بسيط في الصفحات كالانتقال من الحديث عن المدينة إلى القرية ومن شخصية " بشير " إلى شخصية "علي"، والرواية غنية بمشاهد متنوعة تبرز سيرورة الأحداث وتكشف عن حيوية الشخصيات المنتقاة. كمشهد رفض أكل اللحم اعتقاداً منه أنه لحم خنزير. فهو مشهد يبرز أفضل ما في الدين الإسلامي وهو الابتعاد عن الحرام، فعلي يتمسك بالدين حتى في اللحظات الاضطرارية.

5.خاتمة:

لقد عالج مولود معمري في كتاباته إبان الاستعمار قضايا الريف البائس الغارق في أوحال الجهل والحرمان والإيمان بالخرافات، والتي تحكمه الأعراف والتقاليد، بنقل أحداث وقعت فعلا، من خلال هذا النوع من الروايات يظهر لنا أنّ الكاتب مولود معمري

عاش صراعاً مؤلماً بين ما شاهده من قسوة الحياة في الريف، وما ينبغي أن يكون عليه الريف في المستقبل مع حركة التغيير.إنّ هذه الأعمال تؤكد تعلق الكاتب بعالم القرية، وفضاء الريف الذي أصبح يشكل ولعه وانشغاله وهذا يبدو واضحاً من خلال طريقة تقديمه لهذا الريف الجزائري، فلقد قدم لنا صورة البساطة التي عاشها معظم الجزائريين في حقبة زمنية صعبة، كما أوصل للقارئ نضال أهل الريف المتفاني من أجل تحرير البلاد، وكانت العادات والمعتقدات البالية من أهم الأشياء التي ركزّ عليها مولود معمري مبيناً أنها تدفع الإنسان إلى التخلف والتقهقر، فلا بدّ من التغلب عليها للمضي نحو التقدم والازدهار.

6.الهوامش

أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص 33.

المرجع نفسه، ص 34.

عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 50-51.

- Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, office des publications universitaires, éd 1982, p 18.

- Ahmed Bouri, Musulmans et chrétiens, journal el Hack, 1912.

- Voir : Jean Déjeux, ibid, p 18.

قايد شريف محمد من قبيلة ولاد نايل ومن عائلة شريفة، حج إلى مكة سنة 1913م وشارك في الحرب العالمية الأولى، توفي بمرض التيفوس سنة 1921م.

- Voir : Jean Déjeux, ibid, p 19. Caïd Ben Chérif, Ahmed Ben MostaphaGoumier, 1920.

عبد القادر حاج حمو" ولد بمليانة سنة 1891م، كان نائب رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين.

- Abdelkader Hadj Hamou, Zohra la femme du mineur, 1925.

محمد ولد الشيخ عاش بين 1906 و1936م، ولد ببشار سنة 1906م من عائلة تنحدر من أولاد سيدي الشيخ، درس بمدينة وهران، وبدأ الكتابة في سن مبكرة ونُشر له في عدة مجلات، كتب رواية " مريم ف النخيل " سنة " ومسرحية بعنوان " الخليفة " سنة 1936Chants pour Yasmina م، وله مجموعة شعرية تحت عنوان " 1928م، كان من أنصار التقارب العربي الأوروبي ومن المؤمنين بإيجابية الاحتلال. (من كتاب أم الخير جبور، ص 35-).

- Voir : Jean Déjeux, ibid, p 31.

عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 25.

- voir : Nadia Ghalem, Joubert Satyre et JosiaSemunga, Introduction aux littératures francophones, Les presses de l'université de Montréal, 2004, p15.

ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

- voir : Jacques Noiray, Littératures francophones, Le Maghreb, Belin, 1998, p08.

ينظر: جابر عصفور، تجارب في الابداع العربي، وزارة الإعلام،ط01، مجلة العربي، الكويت، 2009، ص30.

ينظر: يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص03.

- voir : Sonia ZlitniFitouri et Habib Salha, La réception du texte maghrébin de langue française, Cérès éditions, Tunis, 2004, p26.

عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء انقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004، ص361.

واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص29.

- voir : RabehSoukhal, Le roman algérien de langue française (1950-1990)-Thématique-, Publisud, paris, 2003, p62.

يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب الأقصى، الجزء الأول، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006، ص97.

ينظر: أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 51.

محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 114.

أنظر: المرجع السابق، ص114- 115.

المرجع نفسه، ص 115.

أنظر: المرجع السابق، ص 117.

أنظر: المرجع نفسه، ص 118.

أنظر: سليم بتقة، الريف في الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، إشراف الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010/2009، ص 135.

انظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره، وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2007، ص269، ص270.

عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1982، ص73.

محمود قاسم، مرجع سابق، ص116.

: Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, éd office des publications universitaires 1982, Alger, p 40.

- ينظر: أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص 333.

- Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 219.

- Ibid, p 76-77.- Ibid, p89.

ينظر: أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 334-[1]ينظر

: Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 72.

تحوي رواية سبات العادل على 214 صفحة، وهي مقسمة إلى أربعة أقسام القسم الأول بعنوان الأب، القسم الثاني الابن، القسم الثالث الملاك، القسم الرابع الكل نحو الجنة.

أحمد منور، المرجع السابق، ص281.

أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 336.

- L'opium et le bâton, éd Plon, 1965.

- تحوي الرواية على 381 صفحة.

أم الخير جبور، المرجع السابق، ص 337.

ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925- 1967/ ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 141.

- Mouloud Mammeri, L'opuim et le bâton, p 9.

- Ibid, p 141.

ينظر : Ibid, p 157.

- Ibid, p 188.